لعبة الأقزام

محمود سالم

لعبة الأقزام

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

لعبة الأقزام

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٩١٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الأقزام قادمون!	١١
الهبوط في غابات الصنوبر!	١٩
السقوط في الوحل!	٢٥
الشياطين قادمون!	٣٣
نهاية الأقزام!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الأقزام قادمون!

«الأقزام قادمون!» كانت هذه هي الرسالة التي تلقَّاها «أحمد» على شاشة ساعته الإلكترونية، وتعجَّب لِقِصَرها ... وغموضِها، وخلوِّها من تحية رقم «صفر»، أو تعقيبه بأن للرسالة ملحقًا سيتلقَّاه في وقت آخر.

شردَ ذهنُ «أحمد» لبعض الوقت، ثم عاد مرة أخرى للتدريب على النموذج الإلكتروني لأحدث سيارة في العالم. صُنعت مخصوصًا للشياطين بمواصفات خاصة.

وأثناء متابعته لقياس كفاءتها على شاشة الجهاز، وجد أنه مشغول، وتركيزه يقلُّ تدريجيًّا، فعرف أن الرسالة شغلَت ذهنَه. فأوقف عملَ الجهاز، وتوجَّه إلى شرفة قاعة التدريب. فاستلقى على الكرسيِّ الهزَّاز، وراح في تفكير عميق، ولكن في لا شيء! فهو لا يعرف مَن هم الأقزام؟ وما علاقتهم بهم؟ وهل هي بداية لمغامرة جديدة، أم أنهم من مصنع السيارات الخاص بالشياطين؟

بدأ القلق يستبدُّ بـ «أحمد»، فقرَّر ألَّا يستسلمَ له، وعاد أدراجَه إلى الجهاز، فجلس أمام تابلوه السيارة، وأمسك بعجلة القيادة، وأدار مفتاح التشغيل وكأنها سيارة حقيقية على الطريق، وليست نموذجًا إلكترونيًّا يُشبه الفيديو جيم. وما هي إلا ثوانٍ، وكانت السيارة تتحرك بسرعة عالية، و«أحمد» يتفادَى العوائق التي تظهر أمامه على الشاشة بمهارة فائقة. وكلما حقَّق مستوى، انتقل إلى مستوى أعلى منه. وكلما كان المستوى أعلى ... كانت العوائق أكثر. ولكن فجأة ظهر على الشاشة مجموعةٌ من «الأقزام» تقطع الطريق أمام السيارة، ولم يستطع «أحمد» تفاديَهم، ولكن في نفس الوقت لم يصطدم بهم أيضًا.

فعندما اقتربَت مقدمةُ السيارة الإلكترونية منهم ... توقَّفت حركةُ الصورة على الشاشة، ولم يَعُد لـ «أحمد» السيطرة عليها ... ثم علَا صفيرٌ متقطِّع من الجهاز، وكتب على شاشته بالبنط العريض: «الأقزام قادمون».

في نفس الوقت، كانت مجموعة من الشياطين تشاهد فيلمًا وثائقيًّا على شاشة التليفزيون في قاعة الاجتماعات الصغرى عن الحرب العالمية الثانية، وكيف أن «اليابان» كانت إمبراطوريةً كبرى، وتمتلك أسطولًا بحريًّا ضخمًا، وقوات جوية ماهرة. ولولا القنبلة «الذرية» ومأساة «هيروشيما ونجازاكي» ما استسلمَت «اليابان»، ولا تغيَّر تاريخ الحرب.

المثير في الأمر ... أن «اليابان» بعد أن خرجَت من الحرب منهكةَ القوى، مهزومة ... واقتصادها غاية في السوء، استطاعت خلال ثلاثين عامًا أن تُصبحَ واحدةً من أكبر الدول الصناعية، والقوى الاقتصادية في العالم.

لفت نظرَ الشياطين في هذه اللحظة دائرةٌ حمراء تظهر وتختفي في أعلى الركن الأيسر من الشاشة؛ فعرفوا أنها رسالة، فأعطَوا الأمر للجهاز لاستقبالها. فظهر على الشاشة رسمٌ بالكمبيوتر لمجموعة من الأقزام، ومكتوب تحتهم بالإنجليزية وبخط عريض: «لعبة الأقزام».

أثناء ذلك ... كانت «إلهام» و«مصباح» و«فهد» يستقلُّون درَّاجاتِهم البخارية، ويرتدي كلٌّ منهم خوذة تغطِّي رأسَه ووجهَه حتى طرف أنفه. وليس بها زجاجٌ عاديٌّ يرى منه الطريق فقط، بل أيضًا شاشة إلكترونية توضِّح له المسار والعوائق، وعلامات إرشادية ... في أعلى يمين الشاشة، وعلامات تحذيرية في أعلى يسارها. وأمام فمه بعضُ الثقوب خلفها سماعة يتحدث فيها لاسلكيًّا مع باقي الشياطين والمقر.

ورغم أن الطريق كان مزدحمًا، إلا أنهم كانوا يقطعونه بمهارة فائقة، مارِّين بين حشد من السيارات يزدحم بها شارع الهرم، في طريقهم إلى المقر السري الفرعي الجديد. وفي الثلث الأخير من الشارع، ظهرَت على شاشة خوذاتهم صورةٌ بالنقط ... لمجموعة من الأقزام، مكتوب عليها «لعبة الأقزام».

اندهشَت «إلهام» لَمَّا رأت ذلك، فانحرفَت بالدراجة لتقف على يمين الطريق. وكانت دهشتُها أكبرَ حين رأَت باقي الشياطين وقد توقَّفوا خلفها أيضًا دون أن يسألوها لاسلكيًّا عن سبب توقُّفِها.

راجعَت «إلهام» أوامر جهاز الكمبيوتر ومعلوماته، فلم تجد تفسيرًا منطقيًّا لما حدث، فخلعت الخوذة عن رأسها لتسأل «مصباح» و«فهد»، اللذَين كانَا بدورهما قد خلعَا الخوذة أيضًا ... ففوجئَت بأنهما رأيَا نفس ما رأَته. في هذه اللحظة، علَا صفيرٌ متقطِّعٌ يصدر عن خوذاتهم، فعادوا لارتدائها ... فرأوا على الشاشة دائرةً حمراء. وبضغطِ زرٍّ في الخوذة خلف أُذُنِهم، أتاهم صوتُ «أحمد» يقول: مساء الخير ... معكم المقرُّ السري الصغير بالهرم،

هناك اجتماع في الساعة ١٨٠٠ في القاعة الكبرى. الأمر عاجل ... مع تحيات السيد «صفر»، وتحياتي. شكرًا.

نظر الشياطين لبعضهم في تساؤل: تُرى، هل هناك علاقة بين اجتماع اليوم، وما رأوه؟ ولم يَطُل تساؤلهم كثيرًا ... فقد عادوا إلى درَّاجاتهم، فأداروها ثم انطلقوا يُكملون الطريق إلى المقر كسرب طائرات أسرع من الصوت؛ فقد كانت عجلات درَّاجاتهم لا تكاد تلامس الأرض. وعند اقترابهم من باب المقر ... انفتح تلقائيًّا، فدخلوا متَّجهين إلى آخر الحديقة ليفتح بابٌ آخر عن ممرٍّ مظلم، ما إن دخلوه حتى أُغلق الباب خلفهم؛ فأضاءت «إلهام» — والتي كانت في المقدمة — كشَّافَ دراجتها. وعن بُعدٍ، ظهر ضوءٌ خافت ما لَبِث أن غطَّى الشياطين، الذين نزلوا عن دراجاتهم متجهين من جراج المقر إلى قاعة الاجتماعات الكبرى، وهم يتساءلون عمَّا رأوا ... وهل هي دُعابة من «أحمد»، أو عنوان لمغامرة جديدة سيُكلَّفون بها؟

وفي قاعة الاجتماعات، كانت المفاجأة أكبر. فلم يكن أحدٌ بالقاعة غيرهم، ولا شيء يدل على وجود اجتماع أو احتمال حضور رقم «صفر»، مما دفع «إلهام» لاقتراح مغادرة القاعة، والصعود إلى غُرَفهم لاستطلاع ما يحدث. ولكن في هذه اللحظة علا صوتُ «أحمد» يقول: لا داعي للعجلة ... اجتماعُنا كما هو، ولكنها مهمة سرية حتى بين الشياطين وبعضهم.

نظرَت «إلهام» إلى «خالد» و«فهد» في حيرة، فأكمل «أحمد» قائلًا: نعم ... فالأنظمة الأمنية الإلكترونية للمقر وأنظمة المعلومات ... قد اختُرِقَت، ولا نعرف حتى الآن مَن الذي استطاع الوصول إلى هذه البرامج، رغم شدَّة سريتها؟ وكيف وصلوا إليها؟

فقال «فهد» مندهشًا: أتظن أنه موجود بيننا مثلًا؟

أحمد: أنا لا أظن ... ولا المنظمة، ولكنها الاحتياطات الأمنية تدعونا لهذا.

على كل حال، هذه أوامر، وعلينا احترامها. كاد «أحمد» يُكمل حديثه ... لولا أنه سمع جلبة في جراج المقر، فتوقَّف عن الكلام منصتًا لما يحدث ... ولم تمرَّ لحظات ... حتى كان بقية الشياطين يتوافدون على قاعة الاجتماعات ... مما أدهش «أحمد»، الذي ما إن رأى «عثمان» حتى سأله: كيف عرَّفتهم بميعاد الاجتماع؟

عثمان: أمر مباشر من رقم «صفر»، وهل عرفتم موضوعه؟

أحمد: هل عرفتم أنتم؟

عثمان: نعم ... الأقزام قادمون.

علا صفيرٌ متقطِّعٌ مميَّز، عرف الشياطين منه أن الاجتماع قد بدأ. فهدأَت الجلَبَة، ولم يَعُد غير السكون، الذي قطعه رقم «صفر» بقوله: مساء الخير ... اجتماعنا هذه المرة

مختلف عما أَلِفناه ... فإننا كنَّا قد اجتمعنا في مهامنا السابقة من أجل أمن الوطن، وإننا نجتمع هذه المرة من أجل أمننا نحن. صمت رقم «صفر» بُرهة، شعر الشياطين أنها دهر ... فهل هناك ما يهدِّد أمنَهم حقًّا؟ وكأنه يقرأ أفكارهم ... فقد عاد للكلام قائلًا: نعم، هناك ما يُهدِّد أمنَنا، ولكننا وأنتم قادرون على ردعه ...

وأعتقد أن الرسالة قد وصلتكم جميعًا، وفي أماكن عدة ... ولكن مَن هم الأقزام؟ فهذا موضوع يحتاج لبحث وتحليل. وأما كيف استطاعوا بثَّ رسائِلِهم على موجات أجهزة الاستقبال اللاسلكي الخاصة بكم، أو الدخول على أجهزة الكمبيوتر ... وإيقاف البرامج المحمَّلة عليها، ثم بث الرسائل؛ فهذا يدل على مقدرة هائلة على الاختراق؛ ذلك لأن المنظومة الأمنية للمنظمة تتكون من أحدث البرامج والأجهزة الإلكترونية في العالم. ومع ذلك ... فقد استحدثنا جهازًا أمنيًّا جديدًا، يعتبر كفلتر ... تمر عليه مكالماتُنا فيفحصها فحصًا دقيقًا ... ليعرف إن كان هناك تنصُّتٌ أو تسجيل، حتى ولو كانت أجهزةُ التنصُّت على أعلى مستوى علمي. ورغم أننا لا نشك فيمن يعملون معنا ... إلا أننا أخضعناهم جميعًا للفحص النفسي ليتبيَّنَ لنا مدى ثبات إيمانهم بنا ... وبقضيتنا وأهدافنا، وسنستبعد مَن نجد حماستَه قد فترَت ولو بعض الشيء.

وبالنسبة لكم، برجاء تسليم كلِّ أجهزة الإرسال، والساعة الإلكترونية التي بحوزتكم، وستحصلون على ما هو أحدث ... والتفاصيل في غرفة العمليات.

أما المهمة ... فلم تتضح معالُمها بعدُ ... وهي مسألة وقت ... هل من أسئلة؟

رفع الشياطين أيديَهم، ثم نظروا لبعضهم وابتسموا؛ فالحادث جديدٌ عليهم، وخطير، وملابساتُه كثيرة؛ فبادرهم رقم «صفر» قائلًا: وقتي الآن لن يسمحَ لسماعِ كلِّ أسئلتكم، برجاء أن تناقشوها فيما بينكم، حتى ميعاد الاجتماع القادم. شكرًا.

ابتعدَت خطواتُ رقم «صفر»، وساد الصمت والحيرة بين الشياطين ... فمتى سيكون الاجتماع القادم؟ وهل سيتركهم رقم «صفر» وقتًا طويلًا دون أن يُجيبَ عمَّا يشغلهم من أسئلة واستفسارات؟ ولم يكن أمامهم غيرُ التوجُّه إلى غرفة العمليات كما طلب منهم رقم «صفر»، حيث وجدوا تقريرًا معدًّا ومعروضًا على شاشة البيانات والتقارير. يوضح المطلوب من الشياطين بالنسبة لتسليم أجهزة الاتصال اللاسلكي والساعات الإلكترونية، وأوجه الاختلاف بينها وبين ما سيستلمون.

وكانت دهشتُهم كبيرةً، حين عرفوا أن أجهزةَ الاتصال الحديثة ... مزوَّدة بشاشات تليفزيونية صغيرة، في حجم علبة «الكبريت» ... يرى فيها المتحدِّث مَن يطلبه، وأيضًا

... ليعرض عليها البيانات الخاصة بالمهمة. ومن الممكن تلقِّي رسائل صامتة مكتوبة في الأوقات الحرجة، التي لا يصلح فيها الإتيان بصوت. ومن الممكن أيضًا عقد اجتماع بين مجموعة من الشياطين ورقم «صفر» ... عبرَ هذه الأجهزة في وقت واحد.

أما عن الساعات الجديدة ... فضبطها يتمُّ عن طريق وحدة خاصة ملحقة بالكمبيوتر المركزي، تُوضَع بها الساعة فتضبط، وتبرمج بها الشفرة الجديدة، ويخزن بها الجديد من الأوامر ... بحيث تعطي صفيرًا عند كل ميعاد مع ظهور بيانات هذا الموعد على الشاشة.

تسلَّم الشياطين أجهزتهم الجديدة، وقد كان التدريب عليها هيِّنًا، فهم معتادون التعامل مع أعقد الأجهزة الإلكترونية.

وفي قاعة محاضرات المقر، جلس الشياطين يتلقَّون المعلومات الرئيسية والتفصيلية عما استجد عليهم من تكنولوجيا ... ولماذا استحدثت؟ وكيفية التعامل معها وكبيانٍ عملي ... كان هناك وقتٌ متفقٌ عليه مع دكتور «نابه» مدير المعمل، اتصل فيه رقم «صفر» بالشياطين ... ليعقد معهم اجتماعًا عبر أجهزة الاتصال الحديثة ... وكانت فرحة الشياطين كبيرة؛ لأنهم سيرون رقم «صفر» لأول مرة. وطبعًا لم يكن هذا ممكنًا، فلم يظهر على الشاشة غير خطوط بيانية متراصَّة، تصعد وتهبط مع تغير نبرة الصوت، ومستوى انفعال رقم «صفر». وقد لفت نظرَهم استقرارُ حركتها طوال مدة حديثه، مما يدل على مدى قوة أعصابه، ومدى تحكُّمه في انفعالاته. مما شجَّع «أحمد» أن يصرِّحَ بما في رأسه، قائلًا: هل بتغيير تكنولوجيا الاتصال، وتغيير الشفرة، سنوقف هذا الاختراق؟ أظن أنَّ مَن استطاع اختراق الأنظمة الأولى ... يستطيع أن يفعلها ثانية!

فقال رقم «صفر»: بالطبع ليست هذه هي الخطوة الوحيدة ... ولكنها الخطوة الأولى حتى نستطيعَ أن نحدِّدَ المهمة ... والتي أقترح أن تكون هجومية أكثر منها دفاعية ... فالهجوم خيرُ وسيلة للدفاع.

وقد نمَا إلى علمنا أن عصابة «سوبتك» تستعين ببعض العلماء والخبراء، ممن يعملون في بعض مصانع أجهزة الكمبيوتر ... ومراكز صُنع المعلومات، ونعتقد أن بينهم المجموعة الجديدة التي تُطلق على نفسها «الأقزام قادمون»، ولو أننا نشك في أنهم يعملون لأنفسهم.

إلهام: وكيف وصلَت عصابة «سوبتك» أو الأقزام لنا ولمقرِّنا، ولكود أجهزة الكمبيوتر؟! ثم معرفة تحرُّكاتِنا! إنها أمور غاية في الخطورة!

رقم «صفر»: أرجو أن يشترك معنا دكتور «نابه»، ثم نادى: دكتور «نابه»، ألستَ معنا؟

دكتور «نابه»: تحت أمرك سيد «صفر».

رقم «صفر»: لقد سمعتَ سؤال «إلهام» ... أجب من فضلك.

دكتور «نابه»: أعتقد أن في الأمر عاملَ مصادفة ... وخيانة أمانة علمية ... وهو أمر وارد.

رقم «صفر»: وضِّح من فضلك.

دكتور «نابه»: ربما يكون أحد العاملين في تصنيع أجهزة الكمبيوتر في المصنع الذي نتعامل معه، يبثُّ وحدات «ميكروبرسيسور» خاصة به، وهي ما تُعرَف باسم «CPU»، وهي الأحرف الأولى من «سنترال بروسسنج يونيات»؛ أي وحدة المعاملة المركزية، وهي عقل الكمبيوتر المتحكم، فهو يقبل المعلومات ويقوم بمعاملتها، كما يقوم باتخاذ القرار. وكما ترون، فهذه الوحدة هي قلب الكمبيوتر. وأقصد أنها خاصة به ... أي أنه يضع وحداتٍ زائدةً على التصميم الأساسي لجهاز الكمبيوتر، على أن تتلقَّى هذه الوحدات الأوامرَ منه لا سلكيًّا عن طريق دائرة استقبال صغيرة جدًّا، ولكن فائقة الحساسية، مدمجة ضمن دوائر الكمبيوتر، فتتحول دوائرُ الكمبيوتر إلى دوائر تنصُّت وإرسال في آنٍ واحدٍ.

رقم «صفر»: ثم؟

دكتور «نابه»: ثم يحصل على معلومات حيوية عن هذه المؤسسة، فيبيعها إلى مَن تهمُّه بأساليبَ شتَّى.

أحمد: تعني أنهم سيتجسَّسون علينا لصالح «سوبتك»؟

دكتور «نابه»: هذا إذا عرفوا بصراعنا معهم.

في هذه اللحظة، تحرَّكَت الخطوط البيانية على أجهزة الاتصال صعودًا وهبوطًا بسرعة، مما جعل الشياطين يشعرون بأن رقم «صفر» قد أثاره ما قيل. وبدأ صوتُه متقطعًا وغير واضح، والأحرف الأولى متنافرة وغير مرتبة.

اندهش الشياطين لما حدث، ونظروا إلى الدكتور «نابه»، فلم يجدوا عنده إجابة؛ فأجهزة الكشف ... تنفي وجودَ اختراق موجي من خارج المقر.

ثم عادَت الخطوط البيانية للاستقرار مرة أخرى ... ليقول رقم «صفر»: لا تندهشوا لما حدث ... فقد كنَّا نتأكد من عدم وجود اختراق. انتبهوا من فضلكم «١، ٣، ٨، ١١» يستعدون للسفر، والتفاصيل ستصلكم تباعًا. الباقون ينتظرون الأوامر. رقم «٦» يستعد، له تعليمات أخرى. شكرًا.

اختفَت الخطوط البيانية من على الشاشة لتترك الشياطين يتساءلون: ما الذي غيَّر مجرى حديث رقم «صفر» فجأة، بعد الخلل الذي حدث في الأجهزة، ليأمرَهم بسرعة السفر؟

استأذن «أحمد» من الشياطين الذين كانوا مشغولين في مناقشات حامية حول هذا الموضوع، ليذهب إلى غرفة المعلومات ... وقُرْب منتصف الليل، كان الشياطين قد آوَوا إلى فراشهم انتظارًا لما سيأتي به الغد.

شعر «أحمد» بوخزٍ في رسغه من ساعة يده، فاستيقظ ويده على الزرِّ يضغطه، ليستقبل رسالة من رقم «صفر» تأمره بالاستعداد، والتوجُّه هو و«فهد» إلى المطار في غضون نصف ساعة، دون ترك رسالة للشياطين. فالمهمة سرية.

اتصل «أحمد» بـ «فهد» في غرفة نومه ... فأيقظه وأخبره عن المهمة العاجلة ... وضرورة التواجد في المقر في خلال عشر دقائق ... وقرب الفجر، كانت سيارة الشياطين تنقل «فهد» و«أحمد» إلى مطار القاهرة؛ حيث كانت هناك طائرة إيرباص ستُقلع في السادسة ... إلى أين؟ لا يعلمان ... فالأخبار والتذاكر، وجوازات السفر، في مكتب شركة مصر للطيران.

لم يكن يشغل بال «أحمد» كيفية الحصول على المعلومات عن المهمة؛ فهو يعرف أنها ستصلُه، ولكن كان ما يشغله هذا القطع في الاتصال، الذي حدث بينهما وبين رقم «صفر»، ثم طلبه للسفر هو و«فهد» فقط، رغم تحديدِ التشكيل سابقًا من أربعة شياطين، ثم الأمر بالسفر في حينه. وقبل إقلاع الطائرة بساعة فقط، وقبل المطار بمسافة وأمام فندق «شيراتون» ... لاحظ «أحمد» ضوءًا متقطعًا يأتي من السيارة التي تسير خلفه، وكأنها تطلب منه التوقُّف، فانحرف إلى أقصى يمين الطريق ... فلحقَت به السيارة قبل أن يتوقف، فأنزل الزجاج المجاور له، ليلمح سيارةَ «بونتنيان» حديثة.

ورجل يجلس بجوار السائق يصيح بلهجة غير مصرية، قائلًا: سيد «أحمد»، هذا لك. وسلَّمه مظروفًا صغيرًا ... ثم انطلق مبتعدًا. قرأ «أحمد» المكتوب على الظرف، وكان يقول: المعلومات على هذا الديسك. أخرج «أحمد» الديسك، ووضعه في جهاز الاتصال ... والذي كان معدًّا لذلك. وبمجردِ ضغطِ زرِّ التشغيل سمع صوتًا يقول بالإنجليزية: السيارة ستنفجر بعد عشر ثوانٍ ... الأقزام قادمون.

الهبوط في غابات الصنوبر!

صاح «أحمد» في «فهد» كي يقذفَ بجهاز الاتصال من نافذة السيارة، ثم يقفز مبتعدًا عنها. ودوَّى صوتُ انفجار شديد، صَعِدَت بعده السيارة فوق الرصيف، لتصطدمَ بالسلك الشائك الذي يُحيط بأرض المطار ... وعندما توقَّفت، اعتدل «فهد»، ونظر لـ «أحمد» الذي كان لا يزال منبطحًا ينظر في دهشة للسيارة. فصوت الانفجار لم يصدر منها، ولكن من جهاز الاتصال ... الذي كان ملقًى بعيدًا ... متفحمًا تمامًا ... وبإشارة من «أحمد» قفز «فهد» في خفة وحذرٍ، مقتربًا من السيارة، محاولًا فتح أبوابها. ولكن الصدمة صنعَت خللًا في هيكلها ... فلم يُفلح في فتحها، فلحق بـ «أحمد» ليستقلَّا تاكسيًا إلى صالة السفر. وفي مكتب شركة الطيران، وجد «أحمد» التذاكر وجوازات السفر في انتظارهما. وميعاد الطائرة لم يبقَ عليه غيرُ خمس دقائق، فأسرعَا إلى أرض المطار، وحملَتهما عربةُ الشركة إلى الطائرة. فألقيَا تحية المساء على المضيفة التي كانت في استقبالهما، ودخلَا في لهفة؛ لعلهما يجدان معلومات تنتظرهما، أو أحد رجالهما ...

إلا أن «أحمد» عاد مسرعًا ينظر في وجه المضيفة ويُحملق وهو يبتسم، فابتسمت المضيفة قائلة: أهلًا بك معنا. ابتسم «أحمد» ... ثم عاد إلى «فهد» ... الذي اندهش مما حدث، فوضع شفتَيه على أُذُنِه، وهمس له ببعض الكلمات، فعلَت الابتسامةُ وجْهَ «فهد». ودارَت محركات الطائرة، وطلب الكابتن من الركاب ربطَ الأحزمة، وحلَّقت الطائرة في السماء.

تمنَّى لهم الكابتن رحلة سعيدة، وسمح لهم بفك الأحزمة، وبدأت المضيفة في توزيع الوجبات والمشروبات. وعندما نظرت لـ «أحمد» و«فهد» ابتسمَت ابتسامةً ذات مغزًى ... وهي تسلِّمهم المناديل الورقية. وضع «أحمد» المناديل بين يدَيه، فوجد بعض الجمل الشفرية

المتفرقة مكتوبةً على المنديل على شكل أحرف هيروغليفية، وكأنها تقصد بها الدعاية عن «مصر». فمال على «فهد» وتهامسا قليلًا، ثم نهض متوجهًا إلى غرفة قيادة الطائرة.

وكانت نفس المضيفة تقف على بابها، فألقى عليها تحيةَ المساء، رغم أنهم في صباح يوم جديد. ففهمت المضيفة، وسمحت له بالدخول بعد أن تحادثَت مع الكابتن قليلًا. فبادلهم «أحمد» التحية، ثم أخبرهم أنه ينتظر رسالةً بعد خمس دقائق، فأعطى الكابتن سماعة الأذن «الهدفون» ... وعلَا صفيرٌ متقطع، ثم أُضيءَ أحدُ مفاتيح لوحة قيادة الطائرة، فضغطه الكابتن. وأنصت «أحمد» جيدًا، ولم ينبس ببنت شفة، إلى أن انتهى، فشكر الكابتن واستدار لينصرف.

فوجد المضيفة خلفه، تقول له هامسة ... مستر «أحمد» ... هناك رجل قزم في الطائرة، يتتبَّع تحركاتِك باهتمام بالغ، وهو ذو ملامح آسيوية. سأُشير لك عليه بطريقة ما. شكرها «أحمد» ... ثم عاد إلى مقعده بجوار «فهد»، ومال عليه يتهامسان مرة أخرى، وعينُه على المضيفة التي توقَّفت بجوار الرجل. فخلعَت الكاب من على رأسها وكأنها تُصلح من وضْعِه، ثم تُثبته بالبنس مرة أخرى، وانصرفَت.

نظر «أحمد» للرجل مليًّا، ثم تحول عنه بسرعة، حين رآه يلتفت إليهم. واعتدل في جلسته ناظرًا لـ «فهد»، ثم أدار وجهَه للنافذة يراقب السحاب، وهو يفكر في كل ما حدث.

ومرَّت الرحلة طبيعية دون أية تحركات من جانب القزم ... إلى أن اتضح أنه لم يكن وحده ... فقد مال عليه رجل أشقر وتحادثَا همسًا، ثم تركه وتوجَّه إلى كابينة القيادة ... ولم يخرج. وبعد حوالي ربع ساعة ... سمع «أحمد» صوتَ الكابتن يقول ... حضرات السادة الركاب ... طاب وقتُكم ... لقد دخلنا المجال الجوي للولايات المتحدة، وإن شاء الله في غضون ساعة سنهبط أرض المطار في سلام.

لكن، ورغمًا عنَّا، سيحدث بعض التأخير.

علَت همهمةٌ بين الركاب ... فبادرهم الكابتن قائلًا: أرجوكم ... أرجوكم ... ليس في الأمر ما يدعو للقلق، إنما فقط ... سنتزوَّد بالوقود، فبسبب عطل بسيط غير حيوي في عداد قراءة الوقود ... لم يكن الوقود الموجود في التنك يكفي للرحلة ... وأعطانا العداد قراءة خاطئة ... مرة أخرى ... ليس في الأمر ما يدعو للقلق، شكرًا.

لم تخفت الهمهمةُ بين الركاب، وكثرَت أسئلتهم للمضيفات، وقد كنَّ يتمتعنَ بروح عالية ... ورباطة جأش. إلا أن «أحمد» لم يأخذ الأمرَ بهذه البساطة؛ فقد تزاحمت الأسئلة في رأسه ... فماذا يفعل الرجل الأشقر حتى الآن في كابينة القيادة؟ ولماذا لم يخرج؟ ... وما علاقته بالقزم؟ وما السبب الحقيقي للهبوط الطارئ للطائرة؟

وقد وافقه «فهد» ... أن كل هذه الأسئلة تحتاج لإجابة سريعة، فتركه وتوجَّه إلى كابينة القيادة ... ولكن المضيفة الواقفة خارج الباب لم تسمح له بالدخول، لكنه حاول معها جاهدًا ... فقالت له: لمصلحتِك ولمصلحتِنا جميعًا، أرجو أن تعود إلى مكانك وتلتزم الهدوء. فتلفَّت حوله يبحث عن مضيفتهم فلم يجدها ... فعاد إلى «أحمد»، الذي تأكَّد بعد كلِّ ما حدث أن في الأمر شيئًا.

دارَت الطائرة دورة واسعة حول نفسها، وهي تقترب من الأرض. وكان «أحمد» ينظر من النافذة، فرأى أنها منطقةُ غابات الصنوبر على حدود ولاية «نيوجيرسي»، وأن الهبوط في المنطقة هنا مسألة خطيرة ... وستُعرِّض حياة الركاب للخطر ... فلا يوجد مطار أو أرض مُعدَّة للهبوط ... وإذا هبطوا سالمين، فمن أين سيتزودون بالوقود؟

تأكد «أحمد» أن الطائرة تعرَّضَت للاختطاف ... وأنهم المقصودون، فآثر ألَّا يتدخَّلَ إلا في الوقت المناسب؛ حفاظًا على أرواح الركاب. ارتجَّت الطائرة بشدة، ثم علَا حفيفُ أجنحتها بأوراق الأشجار العملاقة ... إلى أن توقَّفت ... والركاب منزعجون للغاية ... والمضيفات يُخفين القلق ويحاولْنَ التخفيفَ عن الركاب. و«أحمد» عينُه على القزم الذي انقضَّ جاريًا في اتجاه الباب الخلفي، الذي انفتح في هذه اللحظة، فانبرى يقفز فوق درجاته.

تعجَّب «أحمد» لما حدث! فكيف يهرب القزم إذا كان حقًّا يتابعهم، أو أنه كان يظنهم يطاردانه! وكان هذا ظنَّ «فهد» أيضًا، وقال له: والدليل على ذلك، أنهم حاولوا أن يعرفوا وصولنا للطائرة.

فقال «أحمد»: إن هذه فرصتنا ... فتحْتَ أيدينا أحد رجال الأقزام، ويجب ألَّا ندعَه يُفلت. فسأله «فهد»: والرجل الأشقر؟

ردَّ «أحمد»: سنتركه لـ «إلهام». ثم جرى وخلفه «فهد» يلاحقه بسؤاله: وأين «إلهام»؟

أحمد: إنها المضيفة صديقتنا!

لم يكن هناك وقتٌ للتعليق؛ فقد قفز «فهد» كما قفز قبله «أحمد» على أحد أفرع أشجار الصنوبر، وآذانهما تلتقط عن بُعدٍ صوتَ أرجل القزم، وهي تدوس أعواد الحطب الجافة، وذهنهما يعمل في كيفية خروج الطائرة من هذا الدغل.

كأنما شعر القزم بمطاردتهما له، فتوقَّف عن الحركة لدقائق. ثم سمع الشياطين صوتَ خشخشة توقَّف بعد فترة، ولم يصلهما بعدها صوتٌ البتة.

فقال «أحمد»: بالتأكيد هناك طريق طيني لا تُغطيه الأعشاب كهذا، وقد سلكه القزم، وعلينا أن نبحث عنه بسرعة؛ فالسير فيه أسهل، وسيُعطي فرصةً للقزم أن يُفلتَ منَّا.

فاقترح «فهد» أن يبحث كلٌّ منهما في اتجاهٍ عن هذا الطريق، على أن يُصدرَ إشارة صوتية كل فترة حتى لا يتوها عن بعضهما …

وقد وافق «أحمد» رغم خطورة هذا الاقتراح؛ فغابات الصنوبر عبارة عن أرضٍ من الأشجار والمستنقعات، تبلغ مساحتها نحو ٢٦٠٠ كيلومتر مربع. وهي لا تزال على حالتها الطبيعية التي عُرفت بها منذ مئات السنين … لذا فهي تزخر بالكائنات الحية، ومنها بالطبع الخطيرة، وأيضًا الأوحال. استيقظَت حواسُّ «أحمد»، وساوره القلقُ خوفًا من أن يفقد أثرَ القزم من ناحية، أو يضيعا في الغابة ويتوها عن بعضهما من ناحية أخرى. ورغم أن الوقت كان نهارًا … إلا أن الرؤية كانت صعبة؛ فأغصان الأشجار وتشابكها كانت تحدُّ من تسلُّلِ الضوء … فأخرج «أحمد» بطارية جيب صغيرة تُلازمه ضمن مجموعة أسلحته الدقيقة، وأخذ يحرِّك ضوءَها في نصف دائرة حوله ليستطلع مكان السير.

كانت تحت قدمَيه العيدان الجافة تتكسَّر مُحدثةً صوتًا، ولكن سمع خشخشة تحت الأغصان، فالتقط غصنًا جافًّا من على الأرض، وأخذ يعبث به بين الأغصان بحثًا عن مصدر الصوت، ولكن فكرة دارَت برأسه جعلَته يتوقف عن هذا البحث ويواصل السير؛ فقد يكون صاحب هذا الصوت ثعبانًا، وهذا ليس وقت الدخول في معارك جانبية. لكن أنثى سنجاب جميلة مرَّت بجوار «أحمد»، جعلَته يتابعها بنظرِه … وهي تقفز بنعومة على الأغصان الجافة … إلى أن أصبحت بعيدة عنه بمسافة؛ فاندهش لوقوفها على قدمَيها الخلفيَّتَين … متراجعةً إلى الخلف ببطء. ثم ما لبثت أن أطلقَت ساقَيها للرياح لتعود من حيث أتت، مما يدل على أن هناك ما أفزعها.

تقلَّصَت عضلاتُ وجه «أحمد»، وتيقَّظَت كلُّ حواسِّه … وأرهف سمعه، ووقف متربصًا كالفهد …

كانت الغابة تزخر بأصوات حركة الكائنات، ولكنها أصوات ناعمة دقيقة لكائنات صغيرة، وليس هناك ما يدل على وقع أقدام ثقيلة لحيوان مفترس. وقف «أحمد» مفكرًا، ثم مدَّ خُطاه إلى المكان الذي تراجعَت عنده أنثى السنجاب بحذرٍ، وفي يده عودٌ جافٌّ يفرق به بين الأغصان.

وإذا بحية كبيرة الحجم … ملوَّنة الحراشيف تلتفُّ حول نفسها في دائرة كبيرة، وينتصب الجزء الأمامي من جسمها، رافعة رأسها في وجه «أحمد»، وعيناها تنظر لعينَيه بحدَّة، نظرةً ليس فيها حياة، وكأنها تقرأ فيها مدى قوته، وما ينتويه لها. احتار «أحمد» … أيُظهر لها التحدي ليُخيفَها ويُثنيَها عن مواجهته؟ لكن احتمال أن تُثيرَها هذه النظرة، فتدخل معه في معركة هو في غنًى عنها.

إذن، فعليه أن يُظهرَ لها الخضوع! ولكن، يخاف أن تظنَّه ضعفًا، فيشجعها هذا على مهاجمته. وفي نفس الوقت ... لا يستطيع أن يُبعدَ عينَيه عنها، حتى يظلَّ متيقظًا لها؛ فقد رآها تُفرد جسمها ببطء وليونة ... وقوة ... ثم تلفُّ حوله في دائرة واسعة، ليجد نفسَه مركزًا لدائرة من جسد حية، فعرف أن الفرار لم يَعُد ممكنًا. فواضح أنها تنوي الالتفافَ حوله، وعَصْر جسده لتفتيتِ عِظامه ... وتدمير مقاومته ... ثم ابتلاعه.

سرَت قشعريرةٌ في جسده حين تصوَّر ما سيحدث له. في الوقت الذي رأى فيه الأفعى تُضيق الدائرةَ حوله، ورأسُها منتصبٌ كما هو ... وعيناها مثبَّتتان على عينَيه، وكأنها تنوِّمُه مغناطيسيًّا، لتُلهيَه عما تدبره له.

وقد كان هذا ما يشعر به، فقد شلَّت تركيزه، ولم يَعُد قادرًا على السيطرة على أفكاره. إلا أن صوت صفير «فهد» نبَّهه وطمأنه بعضَ الشيء، ولكن لم يتمكَّن من الرد عليه؛ حتى لا يُثيرَ الحية. فكرَّر «فهد» صفيرَه، و«أحمد» لا يردُّ عليه. والأفعى تركِّز بصرَها في عينَيه، حتى شعر بالخدر يَسْرِي في أعصابه، في الوقت الذي كانت الأفعى تُضيق فيه الدائرة حوله، إلى أن شعر بذيلها يضرب قدمَيه، فارتجف جسدُه بشدة، فمَن ذا الذي يستطيع الصمود في هذا الموقف.

ثم شعَر بحراشيف جسدها تحتك ببنطلونه، وهي تحرك جسدها لتلتفَّ حول ساقَيه، والعرق يتصبَّب باردًا من كل جسده. فرغم ما يحمله من أسلحة، ورغم قدراته القتالية العالية، إلا أنه فوجئ بهذه الحية أمامه، ثم حوْلَه. فأخذَته المفاجأة، ولم يستطع التصرف، ولن يستطيع؛ فقد فات الوقت. فهذه الحية بجانب قوتها الجسدية — والتي تستطيع أن تلتفَّ حول حصان تُفتِّت عظامه — فإنها تحمل بين أنيابها سمًّا زعافًا، إذا ألقَته على عينَيه فقَد بصره في الحال ... وإذا عضَّته لن يحتمل سُمَّها. بالإضافة لسرعة انقضاضها، والتي لا تحتاج لأكثر من جزء من الثانية. تداخلَت الأفكار في رأسه بعصبية، ولكن الحية التفَّت حول ساقَيه ووسطه.

في هذه اللحظة، واتَته فكرةٌ بثَّت الأملَ في نفسه؛ فبمجهوده الخاص قد استفاد من ولاعة البوتاجاز التي تُطلق شررًا عند الضغط عليها، في صُنع سلاح كهربي؛ فقد جرَّب أن يُمسكَ طرفَي السلك اللذَين يصدر منهما الشرر ويضغط الزر، فسرَت رعدةٌ في جسده أخرجَته عن طوره ... فركب أكثر من مولد في كعب حذاء متحرك فنجم المولد صغير، أوصل طرفَي السلك بخاتم في يده ... وأصبح لا يسير بدونهما ... تذكَّر «أحمد» هذا السلاح، وتمنَّى لو أن الحية صنعَت حلقة أخرى حوله ... فسيلتصق جسمها بيديه ... وليس عليه إلا أن

يضغط كعب الحذاء. في هذه اللحظة، ابتعد صفير «فهد»، فمن الواضح أنه لا يعرف وجهة «أحمد»، ولكن عدم إجابته عليه جعلَته لا ينقطع عن الصفير. مما أخاف «أحمد» أن يلفت هذا انتباه القزم ومَن معه، إن كان معه أحد ... ولكن في هذه اللحظة، تحقَّقت أمنيته، بأن أدارت الحيةُ جسدَها في حلقة ثانية حوله، وكان قد ألصق ذراعَيه بجذعه، فالتصق جسدُ الحية بيدَيه. وانتظر إلى أن بدأت تضغط بجسدها عليه، ثم داس كعب الحذاء بقوة ... فانتفضت الحية تفك جسدها عنه، وتطوح ذيلها في حركة هستيرية ... ثم تسحبه ... وتتلوَّى هاربة بعيدًا عن «أحمد». لحظتها، صاح ينادي «فهد» في فرحة وإعياء شديد، و«فهد» يجاهد في أن يعرف مصدر الصوت. وقبل أن يسقط «أحمد» من الإعياء ... كانت ذراعَا «فهد» تحيطان به، وهو ينظر إليه، ويقول باسمًا: كنت أظنك الأفعى مرة أخرى.

فهد: أفعى؟!

أحمد: نعم ... إنها حكاية طويلة، وقد نجوتُ منها بأُعجوبة.

فهد: كيف؟!

أحمد: بفضل تفكيري المتصل في كل شيء، وحبِّي للابتكار. ثم صمت لحظات يلتقط أنفاسه، وبعدها أكمل قائلًا: لقد أنقذَتني ولَّاعة «بوتاجاز»!

حكى «أحمد» لـ «فهد» عن هذا السلاح السري، مما جعل «فهد» يطلب منه أن يصمِّمَه لكل الشياطين بعد أن ثبتَت جدواه ... فهو يركب مختفيًا داخل كعب الحذاء ... ويوصَّل بأسلاك ترى شكل خيوط من نسيج ملابسهم، لا أحدَ يعلم عنه شيئًا.

كان الظمأ قد اشتد بـ «أحمد»، بسبب كثرة ما أفرز من عرق وبذل من مجهود عصبي. فأخبره «فهد» بأنه توصَّل إلى كوخ مهجور بجوار بئر مهجورة أيضًا، ولكن البئر لا يزال بها ماء. إلا أن ما يُخيفه أنها بلا حافة، وحولها مستنقع تشرب منه الزواحف والحيوانات، ويخاف أن يكون الماء سامًّا.

فنظر له «أحمد»، وهو يبتسم قائلًا: أرأيت حيوانات تشرب منها؟

فهد: نعم.

أحمد: إذن، كيف تكون مسمومةً؟

نظر «فهد» له مليًّا ... ثم ابتسم وكأنه اكتشف اكتشافًا جديدًا، وقال له: قلقي عليك هو السبب، سأُحضر لك الماء في دقائق. فقال له «أحمد»: لن أنتظرك هنا، بل سنذهب سويًّا ... هل تمانع؟

فهد: لا ... ولكن في هذه اللحظة علَا صوتُ دُبٍّ!

السقوط في الوحل!

نظر «أحمد» إلى «فهد» سائلًا: أليس هذا صوتَ دُبٍّ؟

فهد: أظن ذلك.

أحمد: وما العمل؟

فهد: لا شيء ... احتمال أن يكون ظمآن، وذهب ليشرب.

أحمد: إذن، هيَّا بنا فسنجده عند البئر، وسيكون دورك أنت في الصراع.

ضحك «فهد» لاقتراح «أحمد»، ثم تركه عائدًا إلى البئر، سالكًا طريقًا طينيًّا مختفيًا بين الأشجار، ليطمئنَّ ... هل ابتعد الدبُّ عن الماء ... أو لا؟ ولأن المنطقة كانت مليئة بالمستنقعات، فقد كان الطريقُ مبتلًّا ... مما جعل آثار الأقدام تبدو واضحة عليه. ولم تكن عليه إلا آثار أقدام «فهد»، وقد كادت تمحوها آثارُ أقدامِ دبٍّ ضخم يتجه إلى الماء. لم يُثن هذا «فهد» عن عزمه، بل أكمل طريقه إلى البئر إلى أن بلغ الكوخ المهجور ... حتى هذا ولم يجد الدُّب بعد. وكانت العيدان الجافة مبعثرة في كل مكانٍ حول الكوخ، فجمع بعضها وبعض الأوراق الجافة لكي تساعد على الاشتعال السريع، ثم أخرج من جيبه ولاعة ذات أغراض متعددة، فأشعل الأوراق، لتشتعل معها العيدان، ثم قطع بعض العيدان الخضراء، ووضعها وسط النيران، فانبعث منها دخانٌ كثيفٌ، فتركها هكذا لدقائق. ثم حمل بعض العيدان المشتعلة إلى داخل الكوخ، وابتعد عنه ينتظر خروج الدب. فإن كان بالداخل فسيخرج، ولن يحتمل البقاء في هذا الجو المعبَّأ بالدخان.

وحدث ما لم يكن في الحُسبان؛ فالكوخ قد اضطرمَت فيه النيران، وأمسكَت بحوائطه التي كانت عبارة عن مجموعة من جذوع الأشجار. ووسط سحابات الدخان، خرج قزمٌ يجري وبيده حقيبة، وكأنه يعرف إلى أين يذهب. أذهلت المفاجأة «فهد»، فها هو غايتهم بين أيديهم، فهو لن يذهب من أمامه ... وهو من خلفه ... ولم ينتظر «فهد» كثيرًا؛ فقد علَا

صراخ الرجل بالإنجليزية يطلب العون ... فظن «فهد» أن الدب أمسك به، فهمَّ أن يُسرع لنجدته ... ولكنه لا يملك مسدسًا، وما معه من أسلحة صغيرة ... لا تصلح مع كائن في مثل هذا الحجم وهذه الشراسة. وعلا صراخ الرجل مرة أخرى، ولم ينقطع. ومن وحي الحاجة وسوس له خاطرٌ في أُذُنه بأن يحملَ جذعًا مشتعلًا من الجذوع المكونة لحائط الكوخ، فأعجبَته الفكرة ... ولكن اندهش لهذا الخاطر ... فصوتُه كصوتِ «أحمد»، وقد شعر بأنفاسه في أُذُنه.

فخرج من شروده ونظر جهة الصوت ... فوجد «أحمد» ينظر له مبتسمًا، ويحثُّه على الإسراع لنجدة الرجل. تعلَّق «فهد» بأحد فروع أشجار الصنوبر، فكسره، ثم ضرب به جذعًا مشتعلًا من أسفل ... فأبعده عن باقي الجذوع، وحمله وجرى به في اتجاه الرجل الذي لم ينقطع عن الصراخ. وكانت دهشته كبيرة ... فلم يكن الرجل بين براثن الدب ... بل كان بين براثن الوحل ... ولم يبقَ ظاهرًا منه غير كتفَيه ورقبته ... وحين رأى «فهد» و«أحمد» توسَّل إليهما أن يُنقذاه. احتار «أحمد» ماذا يفعل معه؟

وكانت أسرع فكرة ... هي إيجاد وسيلة يتشبَّث بها ليستطيع شدَّه، ولم تكن إلا الفرع الذي كسره «فهد» منذ قليل فحمله، ورغم الإعياء الذي يشعر به «أحمد» ... تقدم ببطء وحذر يختبر الأرض تحت قدميه قبل أن يضعها، إلى أن استطاع أن يوصل طرف الفرع للقزم، ومن خلفه «فهد» ممسكًا بحزام البنطلون من ظهره. فتشبَّث القزم بفرع الشجرة، ولكن لم يستطع أن يطفوَ، ولم يستطع «أحمد» ولا «فهد» أن يشدَّه.

فسأله «أحمد»: بماذا تشعر تحت قدميك؟

فقال الرجل في فزع: إني أقف على جزء من جذع شجرة، ولن يحملني طويلًا، أرجوكم!

كان الطمي الذي يُحيط بالرجل كالصَّلصال؛ لذا لم يكن به هواء، وكثافته العالية تمنع الهواء من النفاذ بداخله، مما يجعله كالمغناطيس المجوف حين يجذب بداخله الأجسام؛ لذا فقد رأى «أحمد» أن الفرصة الوحيدة لإخراج هذا الرجل، هو صُنع فقاعة هوائية تحت قدميه أو فقاعة ماء ... ولكن كيف يتم ذلك؟

هرول «فهد» سريعًا إلى مكان الكوخ المحترق يبحث عن أيِّ معدات، تُوحي له بفكرة إحداث هذه الفقاعة ...

لحق «أحمد» بـ «فهد»، وتركَا الرجل يصرخ، فسأله «فهد»: هل سيتحمل جذع الشجر مثل هذا الرجل طويلًا؟

فأجابه «أحمد»: أنا أعتقد أن الذي يحمل هذا الرجل ليس جذعَ الشجرة فقط، ولكن هناك تحت جذع الشجرة جسم أكبر، وقد تكون الأرض. وعلى كلٍّ فهو لن يحتمل هذا

الضغط طويلًا، والليل على الأبواب وستُحجب الرؤية، ويكون إنقاذه في الليل صعبًا. وقد تسبقنا إليه برودة الجو ... فلا نستطيع إلا إنقاذ جسد ميت.

أقلقَت «فهد» أفكارُ «أحمد»، وحثَّت كلَّ طاقاته على العمل، فجرى يجمع كلَّ ما يقابله حول الكوخ من مهمات. وقد كان هناك تنك بنزين معدني فارغ، فكَّر «فهد» أن يملأه ماء، ثم بأحد جذوع الأشجار يخلخلان الطميَ حول أرجل القزم، فيصنعان فجوات يملآنها بالماء ... إلا أن القزم رفض هذه الفكرة ... فهي ستزيد الطين بلة، وتجعل غرقَه أمرًا محتومًا.

وفجأة ... لمعت عينَا «أحمد»، وسأل القزم: هل لديك مسدس؟

نظر له القزم في شكٍّ وخوفٍ، فصاح «أحمد» فيه: إن كنت أريد موتك، لتركتك كما أنت، هيَّا ... أَجِبْني!

فردَّ الرجل في لهفة: إنه في حقيبة أوراقي. ودلَّه عليها، وقد كانت تُخفيها بعض أفرع الأشجار.

حاول «أحمد» فتْحَها، ولكنها كانت مغلقة بأرقام سرية، فسأل القزم عنها. ولهَول موقفه، والإرهاق الذي أصابه ... لم يستطع تذكُّرَها. فحاول «أحمد» أن يقرِّب له المسألة، فسأله: أهي مثلًا أرقام يوم ميلادك ... أم ميلاد زوجتك ... أم رقم محبوب لديك؟

وكان «القزم» أثناء ذلك لا يسمع ... بل يصرخ في هيستريا: حطِّمها ... حطِّمها ... مما دفع «أحمد» لأن يصيح فيه قائلًا: الزم الهدوء ... حتى أفكر في حلٍّ.

إلا أن «فهد» كان قد قفز لأعلى ... ليهبط على جدار الحقيبة فيحطمه ... ابتسم «أحمد» لما فعله «فهد»، وساعده في الإجهاز على الحقيبة حتى وصلَا إلى المسدس. وبمراجعة خزانته، وجداها محشوَّة ... وكانت الخطوة التالية ... أن يُحكمَا إغلاق تنك البنزين الفارغ، وبجذع شجرة طويل ... دفعا التنك داخل الوحل ... في اتجاه القزم ... و«أحمد» عينه على زاوية ميل الجذع ... بتركيز شديد ... وكانت عملية دفع التنك في الوحل صعبة ... واستغرقت منهما جهدًا، ووقتًا لم ينقطع فيه القزم عن الصراخ، ولكن قواه كانت قد بدأت تخور ... ورغم ما بينهم من صراع ... إلا أنهما تعاطفَا معه ... وعندما شعر «أحمد» أن التنك أصبح تحت مستوى قدمَيه، أشار لـ «فهد» ... فمدَّ له فرع الشجرة الأخضر ... ثم صوَّب المسدس في اتجاه التنك، وأطلق رصاصة لم يسمع غير صوت خروجها من المسدس فقط. وبتعديل بسيط في زاوية التصويب، أعقب ضغط الزناد صوت انفجار مكتوم تحت الوحل، ثم شاهدا القزم وكأنه يقفز لأعلى.

في هذه اللحظة ... سحبه «فهد» بسرعة، وكان لا يزال ممسكًا بالفرع، فسقط على الأرض ولم يُبدِ بعدها أية حركة؛ فقد راح في غيبوبة.

كان الإعياء قد نال من «أحمد» و«فهد»، ولكن كان عليهما أن يفحصَا محتويات حقيبة القزم؛ لعلهما يجدان ما يسُدُّ جوعهما، فلم يجدَا إلا خريطة وبوصلة وبعض الأوراق في حافظة من البلاستيك. كانت الخريطة لغابات الصنوبر، موضحًا عليها طريق يبدأ من المنطقة الصناعية بولاية «نيوجيرسي» حتى نقطتَين قريبتَين داخل الغابة.

نظر «فهد» لـ «أحمد»، ثم قال: هل هذا الكوخ نقطة منها؟

فقال «أحمد»: لا أظن ... فليس به ما يوحي بأنه يحوي مصالح حيوية لأحد ... وعلى كلٍّ، لن نستطيع تحديد اتجاهنا الآن، وعلينا انتظار النجوم، وهي قريبة؛ فالليل على الأبواب. وبالقرب من الكوخ المشتعل، وفي دفء النار المغطاة بالرماد، تمدَّد «فهد» و«أحمد» وبجوارهما القزم ... يرتدي قطعًا من ملابسهما، بعد أن ابتلَّت ملابسُه عن آخرها بماء الوحل. وحين أدفأت الشمس أوحال الشياطين تململوا في رقْدَتهم، وفتح «فهد» نصفَ عين ينظر بها حوله، فوجد القزم لا يزال نائمًا، فحاول إيقاظه، لكن كان محمومًا.

فجمعوا بعضَ الجذوع المُلقاة هنا وهناك، وصنعوا منها حاملًا حملوه عليها. وبالاهتداء بالبوصلة ... كان الطريق عليهم أيسر وأقصر ... فبعد ساعة من السير، رأوا عن بُعد سيارة «كارفان» تغطيها نباتات متسلِّقة، وأمامها آثارُ شواء حديثة، وحولها بعض تنكات الوقود. فتقدَّم «أحمد» يقفز في خفَّة، شاهرًا مسدسه لاستطلاع المكان، ولكن الإعياء والجوع جعلاه يتعلق في أفرع الأشجار المبعثرة، فسقط على الأرض. إلا أنه لم يجد ردَّ فعل من ساكني المكان، فتأكد أنه خالٍ، فتقدَّم هو و«فهد» يحملان القزم.

كان الكارفان عبارة عن شقة صغيرة، بها كلُّ ما يلزم للعيش في هذه الأماكن ... وعلى سرير في مؤخرته وضعا القزم، وغطَّياه بكل ما وجدا من أغطية. ثم فتحا الثلاجة ... وكأنهما فتحا باب الجنة، فقد وجدا ما لذَّ وطاب من طعام وشراب، فأسكتا صراخ الجوع والعطش. وطاب لهما العبث بمحتويات الكارفان، ولكن أكثر ما لفت نظرهما أجهزة الاتصال الشبيهة بنفس أجهزتهم الحديثة، وشاشة التليفزيون التي يظهر عليها ... المنطقة المحيطة بالكارفان بشكل متتابع ... وبعض خراطيش خاصة ببندقية صيد. ومن الواضح أن صاحب المكان خرج للصيد ... فمُعداته غير موجودة.

وكانت شاشة أخرى يظهر عليها أرض فضاء، مُحاطة بأسلاك شائكة ويتوسَّطها مبنًى صغير فخم حديث ... مطلي باللون الأبيض ... وخلفها مساحات شاسعة من المستنقعات. إذن، فهذا المكان لحراسة المبنى ... يا لَهم من شياطين!

كان هذا تعليق «فهد»، فردَّ عليه «أحمد» قائلًا: ومن يدري، فلعل هناك نقطة حراسة أخرى تختفي بين أشجار الصنوبر لتحميَ الاثنين. وليس غريبًا عليهم ... فهم شبكة تجسُّس حديثة.

حدَّد «أحمد» و«فهد» مهمتَهما في هذه اللحظة بسرعة خارقة ... وهي اللعب بنفس الأسلوب. وكان ذلك بأن حلَّ «أحمد» غلاف أحد أجهزة الاتصال ... وضبط جهاز الكمبيوتر المُلحَق به، ثم أوصل طرفَي الصوت والصورة بنفس الأطراف في الأجهزة المراقبة الخاصة بالعصابة ... ثم ضبط الجهاز ليكون في حالة الإرسال. وبعدها أخفى مُعداته في بطن الغطاء الذي يحوي الشاشة ... ثبَّت عليه الغطاء ... واحتفظ بجهاز اتصال آخر.

وخرج مبتعدًا عن الكارفان لمسافة ... ليجرب الجهاز ... ويرى نتيجة ما صنعه ... وقد كانت فكرة طيبة، فعلى الشاشة الصغيرة رأى ما رآه على شاشتَي المراقبة، وسَمِع صوتَ «فهد»، وهو يقول له: «أحمد» هل تسمعني؟ أم أنك ترى فقط؟

فردَّ عليه: أسمعك يا «فهد» ... وأنت أيضًا تسمعني بالطبع.

فهد: نعم ... وبوضوح. ولكن، أليس في هذا خطرٌ علينا ... فهو بذلك يستطيع تحديد مكاننا!

أحمد: لن يحدث بالطبع؛ لأن صوتنا لن يصلَه ... إلا إذا ضبطنا الجهاز لذلك.

توقَّف في هذه اللحظة صوتُ طلقات الخرطوش التي كان يسمعها «أحمد» و«فهد» على فتراتٍ، وحلَّ محلَّها صوتُ موتور سيارة ثقيلة يأتي عن بُعد. فجمع «فهد» فضلات ما أكلاه وشرباه في كيس بلاستيك.

وخرج على عجلٍ من الكارفان لاحقًا بـ «أحمد»، الذي كان في هذا الصباح موفورَ الصحة والنشاط ... فقد نام جيدًا وأكل جيدًا. فاستقبل «فهد» ليحمل كيس القمامة عنه ... ثم أغرقه في أقرب مستنقع حتى لا يلاحظَ أحدٌ وجودَهم. توقفت السيارة بجوار الكارفان، وقفز منها كلبٌ أسود ... أخذ يتشمم المكان وينبح، و«فهد» يُغمغم قائلًا: يا لَك من كلب ملعون! ثم قال لـ «أحمد»: أترى ذلك العملاق الزنجي، لقد كان في رحلة صيد كما توقعنا.

وكان الرجل يحمل حبلًا مربوطًا به مجموعة من الطيور المذبوحة، وكأنه قد أقلقه نباحُ الكلب، فأخرج مسدسه، ودخل إلى الكارفان في حذر ... في هذه اللحظة، تنبَّه «فهد» إلى أن القزم من الممكن أن يُفيق الآن ...

فقال «أحمد»: سنعرف.

فسأله «فهد»: كيف، وكاميرا المراقبة لا تصوِّر إلا خارج الكارفان فقط؟

فقال «أحمد»: لقد تركت جهاز اتصال مفتوحًا ... وهو يصورهم الآن ... ثم فتح جهاز الاتصال، فرأى الكارفان من الداخل كله بين يديه.

فقال «فهد» في نشوة: لقد بدءوا اللعب معنا بطريقة مراهقة ... وسنُلاعبهم الآن بطريقتنا. ولكن انظر ... لقد نسينا أن ملابسنا كبيرة على القزم!

أحمد: ولكن لم يلاحظ ذلك، إنه مشغول بفحصه ... ليطمئن إن كان مصابًا أم لا ... فيعرف إن كان هناك من يَتبعه.

في هذه اللحظة بدأ القزم يتحرَّك، وفتح عينَيه مثقلتَين، نظر بهما إلى العملاق الزنجي، وقال له: «بيتر» ... هناك ... وقبل أن يُكملَ كان صوتُ طنين يصمُّ الآذان قد انبعث من أجهزة المراقبة، مما دفع «بيتر» أن ينظر لهما في دهشة، وقد كان السبب في هذا الصوت «أحمد».

بالطبع عاد «القزم» ليتكلَّم، مما آثار أعصاب «فهد»، الذي قال: هذا الوغد ... لقد أنقذنا حياته، ولا يزال يُصرُّ على أن يغدر بنا!

فقال «أحمد»: إنه عمله ... الذي يدفع حياته ثمنًا له، فما بالك بحياة الآخرين. والأمر في أيدينا، إن لم يسكت ... سأُسكته أنا ... وضغط الزرَّ مرة أخرى ليرتفع طنين الصوت، ويضع القزم الوسادة على رأسه يسدُّ بها أُذُنَيه، مما أثار العملاق الزنجي «بيتر» ... ودفعه لأن يقوم بفحص الأجهزة.

فرأى «أحمد» أن يتوقَّف عن هذا ... فذلك العنيد ... سيُفسد كلَّ ما فعلوه إذا حلَّ أحد الأجهزة. وكان الزنجي قد همَّ أن يفعل ذلك ... لولا أن «فهد» تناول جهاز الاتصال من «أحمد»، ثم قلَّد صوتَ القزم مناديًا «بيتر» بصوتٍ خافت، فهرول إليه «بيتر» يسأله عن بغيته ... وكان القزم نائمًا، فظن أنها الحُمَّى قد أصابَته ... فعاد يتصل بقيادته ... التي وصلَته الأوامر منهم بأن يقوم بتمشيط المنطقة بحثًا عن مطاردي «جو» القزم، وستصله طائرة هليكوبتر وبها طبيب وبعض الأغراض.

إلا أن «بيتر» عاد واتصل قائلًا: إن هناك آثارَ أقدام حول منطقة المراقبة لشخصَين كانا يحملان حاملًا، فآثارُ أقدامهما بينها مسافة ثابتة. وأرجح أن «جو» القزم لم يأتِ على قدمَيه ... فالحامل لا زال بالخارج، وأنه يريد تعزيز الحراسة. وبسؤاله عما كان في حوزة «جو»؟

فأجاب بأنه لم يجد شيئًا، إلا أن الملابس التي يرتديها ليست ملابسه.

أُسقِط في يد «أحمد» ... فما دام الأمر وصل إلى تتبُّع الأثر، فسيصلون إليهما بسهولة. ولكن الكلب الأسود لم يكن يحتاج لآثار أقدام، فقد وصل إليهما ... عن طريقٍ غير التي سلكاها، وخلفه «بيتر» يقول له: أحسنت يا «دارك». ثم سحب أمامه المسدس، وقال لـ «فهد»: عندي لك مكان بجوار «جو».

نظر «فهد» له في قلقٍ، ثم سأله: هل «جو» مات؟

بيتر: لا لم يمُت، ولكن أين الرجل الثاني؟!

فهد: أي رجل؟

بيتر: لقد كنتما اثنين.

فهد: نعم ... أنا و«جو».

بيتر: لا ... أنت وآخر طاردتما «جو» إلى أن سقط في الوحل ... والملابس التي يرتديها تدل على ذلك. وقد مضى وقت طويل حتى أنقذتماه، فأصابه الإعياء وحملتماه إلى الكوخ ... لأنكما لا تعرفان طريقًا للخروج من الغابة ... ثم صاح في الكلب: «دارك»! ابحث عن الآخر ... وقال لـ «فهد»: أرجو أن تسير إلى الكارفان وحدك ... ولن أحرسك، فليس هناك مجالٌ للمراوغة. ومن برميل وقود فارغ ... كان «أحمد» يتابع ما يحدث ... وقد أعجبه ذكاءُ الرجل. وكان لبرميل الوقود غطاء، أغلقه «أحمد» فوقه ... فلم يستطع الكلب أن يتوصَّل لرائحته، فواصَلَ البحث بعيدًا ... مُتتبعًا آثار رحلتهم وهم يحملون «جو».

وخلف «فهد»، سار «بيتر» ليقيِّده في الكارفان، فأعطى ذلك فرصة لـ «أحمد» ... أن يخرج من البرميل هاربًا ... مهتديًا بصورة المكان على شاشة جهاز الاتصال. وقد كان في سباق مع الزمن يجب أن يصل إلى «فهد» قبل أن يعود إليه «دارك» ... أو يصل إليه «بيتر»، الذي أدار محرك سيارته في هذه اللحظة، وانطلق يبحث عنه.

آثَرَ «أحمد» أن يتخذ طريقًا بين الأشجار حتى لا يكون هدفًا مكشوفًا لـ «بيتر» ... ولا تحمل الرياح رائحته بسهولة لـ «دارك». رغم أن العوائق كثيرة، ولكن كان قد اعتادها، وحين رفع عينَيه هذه المرة ... رأى أمامه أرضًا مكشوفة، مُحاطة بسلك شائك. إنه القصر الصغير!

الشياطين قادمون!

لم يبذل «أحمد» مجهودًا كي يعبُرَ السلك الشائك إلى القصر، وقرَّر أن يُعدَّ خُطة مواجهة سريعة، يُنهي بها هذا الصراع؛ لأن القزم إذا طار، فلن يستطيع الوصول له بعد ذلك بسهولة. لذلك، قرر أن يُثيرَ الفزع في قلوبهم، كما كانوا يقصدون برسائلهم المتتابعة في مقر الشياطين وخارجه، فيُخرجهم عن طوْرِهم. وهذا بالفعل ما حدث.

فعلى شاشة جهاز الاتصال ... رأى «بيتر» يمسح المنطقة بكاميرات المراقبة بحثًا عنه. وفجأة، ظهرَت له على الشاشة كرة نارية مكتوب تحتها: «الشياطين قادمون».

أصاب «بيتر» الفزع، فأمسك بياقة جاكت «فهد» ... بعد أن فكَّه من قيده، ثم دفعه بفوهة المسدس إلى شاشة المراقبة، وسأله: ما هذا؟

نظر «فهد»، وابتسم ابتسامة سعادة لم يلحظها «بيتر»، وقال له: ما هذا؟

فسأله «بيتر»: أهناك غيركم في الغابة؟

فردَّ «فهد» قائلًا: لم نكن إلا اثنين ... أنا وصديقي الهارب.

فسمع صوت «أحمد» يقول له: دعه يا «بيتر» ... فهو لا يعرف شيئًا عمَّا يحدث ... استشاط «بيتر» غضبًا، وخرج يجري حول الكارفان شاهرًا مسدسه صائحًا في غضب ... اخرج لي ... أين أنت؟ ثم عاد واتصل بقيادته، صارخًا فيهم: قلت لكم أريد معاونين فلم تُرسلوا لي ... إنهم ليسوا اثنين، وليسوا عُزَّلًا. ولم تمرَّ ثوانٍ ... إلا وكانت الطائرة الهليكوبتر تُحلِّق في سماء غابات الصنوبر، وقائدها «روجر» يحدِّث «بيتر» على جهاز الاستقبال. التقط «أحمد» كود الاتصال، ثم أرسل نفس الرسالة إلى قائد الطائرة ... الذي رأى على التابلوه ... وعلى شاشة المتابعة كرة نارية مكتوبًا حولها: «الشياطين قادمون».

فاتصل بمركز الاتصال الرئيسي يطلب منهم متابعة هذه الإشارة ورصدها لمعرفة مصدرها، ثم قام بمسحِ الغابة في مسارات دائرية متناقصة، حتى حلَّق فوق القصر الصغير

لثوانٍ، ثم هبط في ساحته. ونزل مجموعة من الرجال ... معتادو الحياة في الغابات، ومعهم مجموعة من الكلاب الشرسة، والتي علا صوتُ نباحها، مما جعل «فهد» يتراجع عن قراره بالفرار ... ويغلق «أحمد» باب غرفة النوم التي كان جالسًا بها بالقصر. انتشر ثلاثة حراس على اتساع مساحة القصر، وخرج الباقون يجوبون الغابة ... بحثًا عن الشياطين.

وذهب قائد الطائرة إلى «بيتر»، ومعه طبيب وحارس لاصطحاب «جو» و«فهد»؛ فـ «جو» يحتاج إلى رعاية خاصة. وسأله «بيتر»: وهل ستحملانه؟

فأجاب الطبيب: نعم إلى الطائرة.

في هذا الوقت علا نباحُ كلاب الصيد والحراسة، التي يُمسك بها رجال العصابة، فقد اقتربوا من الكارفان ... مُحدِثين جلبة.

وكان «أحمد» يتابعهم على جهاز الاتصال، فرأى أنه وقت مناسب لإرسال رسالة أخرى.

وكانت لـ «بيتر» ومن معه ... وكانت نفس الكرة النارية وتحذير «الشياطين قادمون». تغيَّر وجهُ «روجر»، وقرر اصطحاب «فهد» معه ... فالأمر يبدو أكبر مما كانوا يتوقَّعون. وفي ساحة القصر الصغير ... اجتمع الحرس في دائرة واسعة حول الطائرة ... إلى أن ركب الطبيب ومعه «جو» وأحد الحراس ... ثم نزل الحارس وبعده «روجر» ليصطحب «فهد».

شعر «أحمد» أن «فهد» في خطر ... وهو سيكون وحده في خطر أيضًا، و«جو» سيضيع منهما ... فقرَّر أن يُرسل رسالة أخرى، رغم أنه يعرف مدى خطورة ذلك؛ فأجهزة العصابة تتبَّع الرسائل والإشارات ... مسحًا للمنطقة كلها. دارَت محركات الطائرة ... وزاد هديرها ... واتسعت دوامات الهواء حول المروحة ... وتكثَّفت، وبدأت الطائرة تحلِّق مرتفعة لأعلى، وعند نقطة الثبات التي ستتخذ منها الطائرة اتجاه المسار ... قرأ «روجر» على الشاشة المتابعة بالتابلوه رسالة تقول: «الطائرة ستنفجر بعد ثلاث دقائق ... الشياطين قادمون.»

ارتبك الكابتن «روجر»، ونظر للطبيب الذي قال له: لا وقتَ للمجادلة في هذا، اهبط وناقش بعد ذلك. كان «فهد» يتابع حديثهم بلا مبالاة، ويُغمغم في نفسه: أنتم السابقون ... ومن خلف ستائر ثقيلة تغطي زجاج نافذة غرفة النوم ... تابع أحمد أسرع هبوط وأعجب لإخلاء الطائرة، فقد خرج الكابتن يجري من باب ومن الآخر الطبيب، تاركين «جو» بداخلها.

فسمع «فهد» صوت «أحمد»، يقول له: احمل «جو» ... ودُرْ حول القصر ... واترك قبل نزولك رسالة!

جرى رجال الحراسة مُبتعدين، ومنهم مَن انبطح أرضًا ... وكانت هذه فرصة لـ «فهد» ... لكي يهرب ... وأن يدور حول القصر مبتعدًا عن أعين رجال العصابة. وكانت فرصة لـ «أحمد» أيضًا، والذي كان يتابع ما يحدث على جهاز الاتصال ... فقد فتح باب القصر بحذر ... وبلا صوت ... رغم أن هدير مروحة الطائرة كان يملأ المكان.

وسحب «فهد» للداخل، والذي اندهش حين رآه، وقال: صدقني ... كنت أشعر بذلك.

لم تنفجر الطائرة ... مما أثار أعصاب «بيتر»، والذي كان يتابع ما يحدث على شاشة المراقبة. فعاود الاتصال بمركز قيادته يُخبرهم بما حدث ... ويأمر رجاله بالتزام أماكنهم، ويُشيع صراخه هنا ... وهناك.

وعاد كابتن «روجر» إلى الطائرة مرة أخرى يفحص أجهزتها، ويبحث فيها عن جسم غريب ... لكنه لم يجد شيئًا ... فطلب من الطبيب أن يحضر «جو» ويصعد إلى الطائرة، فقال له الطبيب: إن «جو» ليس مسئوليتي، فليبحث رجالكم عنه ... وعن الآخر الذي كان معه.

كان «أحمد» يتابع ما يحدث في ترقُّب؛ فأعصابهم بدأت تتوتر ... و«أحمد» لم يؤكد لهم أن الغابة مسكونة بالشياطين، فسيبحثون بداخل القصر ... الذي من الواضح أنه لا يدخله أحد إلا في وجود الزعيم ... ولا يفتح بابه الوحيد ... إلا بأمر من «بيتر». وإن دخلوه الآن ... فسيجدون إجابةً عن كل أسئلتهم؛ لذلك يجب إلهاءُ «بيتر» حتى لا يفكر في ذلك ... وحتى يحضر الزعيم ... فأرسلوا له رسالة أخرى.

طاش صوابُ «بيتر» لها، فركب سيارته. وعندما رأى الطائرة عن بُعد، صرَخ فيهم: اصعد أنت يا كابتن «روجر»، لا شأنَ لك بـ «جو» وبالفتى ... سأحصل عليهما بطريقتي، ومَن يأتي إلى هنا قادر على أن يُضيفَني. لم يحتمل «روجر» سماعَ المزيد، فأسرع بالارتفاع بالطائرة. وعندما وصل إلى نقطة الثبات، وقبل أن تتخذ الطائرة مسارها ... دوَّى صوتُ انفجار شديد، ولمعَت في السماء كتلةُ لهب. وتساقطَت الطائرة شظايا ... تملأ المكان ... والحرس يعاودون الجري هنا وهناك، و«فهد» يقول لـ «أحمد»: لقد زرعنا الفزع في نفوس أعوانهم هنا ... المهم الآن الرأس المدبرة ...

فقال له «أحمد»: الأهم، أن تَشتُّتَ تفكيرهم سيعطينا فرصة لإيجاد وسيلة للاتصال بـ «إلهام»، أو بالمنطقة.

تململ «جو» في هذه اللحظة، وطلب ماء ليشرب. فقال «فهد» في تأثر: هذا الرجل يحتاج للرعاية ... وليس من الإنسانية تركه هكذا ...

فقال «أحمد»: بالطبع لا ... رغم أني أراه يتحسن على هذا الفراش الوثير، وتحت هذه الأغطية النافرة ... الناعمة ... ما رأيك لو تُحضر له بعض العصائر؟

فتحسَّس «فهد» جبينه ... فوجد حرارته عادية ... فابتسم راضيًا ... وقال وهو ينصرف: وسأحضر لنا أيضًا ... فأكمل «أحمد» مع قليل من الطعام يا «فهد».

حمد «بيتر» الله على أن شظايا الطائرة سقطَت بعيدًا عن المبنى وعن الأشجار، وإلا لتعرَّضَت المنطقة لحريق مروِّع. وأمر رجاله بالتوقف عن البحث حتى تأتيَه أوامر أخرى، ثم قام بالاتصال بقيادته، وأخبرهم بحريق الطائرة وموت «روجر» والطبيب ... فسألوه: هل تأكدتَ من موتهم؟

بيتر: إن جثتَّهما تفحمتَا تمامًا.

القيادة: و«جو» ... والفتى؟

بيتر: لقد اختفيَا قبل صعود الطائرة. وحكى «بيتر» لهم عمَّا حدث قبل انفجارها، و«أحمد» يتابع كلَّ هذا بأجهزتهم وكأنه يجلس معهم ... فالتقط كود الدخول على أجهزة اتصالهم ... وحلَّ شفرته. ولمَعَت عيناه و«فهد» يناوله عُلبة العصير، ويقول له: هناك جديد يا «أحمد»؟

أحمد: نعم، الضربة الكبرى! وهي بثُّ رسالة في مقعد القيادة. فيجب أن نحرِّك قادتهم، فحتى الآن لم يظهروا ... وكأنهم يشعرون بما ندبِّره لهم.

فهد: ولكن قبل كل ذلك يجب الاتصال بالمنظمة، وبرقم «صفر».

وكان «أحمد» قد اعتمد على أن المسافة بينه وبين مركز القيادة عند «بيتر»، وخلوها من العوائق، جعلَته يستخدم موجة طويلة ... لا تصعد إلى طبقات الجو العليا ... فلا يمكن رصدها ... ولكن في حالة مراسلة رقم «صفر» ... فسيحتاج لاستخدام موجة قصيرة جدًّا؛ لبُعد المسافة، وهذه يمكن التقاطها ورصدها بسهولة ... لذلك، فقد كان يؤجل هذه الخطوة قدر الإمكان ... حتى يجد أفضل الحلول ... ولكن «فهد» رأى أن يسارع بالاتصال ... ولا داعيَ للموجة القصيرة ... فما دامت «إلهام» كانت معهم على الطائرة، فمن المؤكد أن المنظمة تعرف أين هم ... حتى ولو ظنوا أنهم لن يبقوا حتى الآن في هذه المنطقة ... فسيرسلون أحد الشياطين، أو أحد العملاء لمحاولة الاتصال بنا ... إلى أن يظهروا، وأين سيكون أولئك الآن، إلا في المنطقة الصناعية للولاية على حدود الغابة؟

ابتسم «أحمد» لصفاء ذهن «فهد»، ولكن آثرَ احتياطيًّا أن يُرسلَ موجاتٍ شفريةً ... غير صريحة، فحتى لو التقطها «بيتر» ... فلن يعرف مصدرَها، غير أنه أمرٌ لا يهمُّ.

وكانت الرسالة مختصرة للغاية ... للسؤال عن وجود مَن يمكن مراسلته. وبإدارة مؤشر الموجات في الجهاز ... التقط «فهد» موجة شفرية قديمة تخصُّهم ... وقد كانت تقول: «رقم (٢) تنادي، أجب!»

فقال «فهد»: واضح أنهم يُرسلون هذه الرسالة منذ فترة ... ولم يتلقَّوا بعدُ رسالتنا ...

فقال «أحمد»: إذن علينا مراسلتهم؛ فقد فكَّروا بطريقتك. وعندما كان يُراسل «إلهام» كانت هناك جلبة عالية تصدر من آلة لقطع الأشجار، وكما تصور «فهد» ... فإنهم يحصنون المنافذ البرية من وإلى الغابة؛ لأنهم يعرفون أن الهرب عن طريق المستنقعات ... أمر غاية في الخطورة ... ومما أدهشه ... أنهم استفادوا من ارتفاع الأشجار، واستخدموها كأبراج مراقبة، بأن أقاموا على قممها أكشاكًا صغيرة مظللة، ومزودة بكشافات إضاءة. ما يدل على أن المراقبة ستكون ليلَ نهار، مما سيُصعب مهمةَ الشياطين في اصطياد الرءوس المدبِّرة للعصابة ... داخل الغابة. وعليه ... فمن الضروري وضع خطة تأخذ كلَّ هذه المعطيات في الحسبان، أولًا: لفتح شفرة لرجال المنظمة للوصول إليهم، للمعاونة في القبض على رجال العصابة.

ثانيًا: تأمين خروجهم من الغابة بعد انتهاء المهمة ... بأقل خسائر.

لذلك، ربما أن ... الطرق البرية كلها قد حصَّنها رجالُ العصابة بهذا الإحكام، فلم يَعُد أمامهم غير منطقة المستنقعات ... وهي خالية تمامًا من الحراسة. فسأل «أحمد» عن رأيه في هذه الفكرة، وكان قد انتهى من تلقِّي رسالة «إلهام»، فأخبره بأن رقم «صفر» يداوم على الاتصال بـ «إلهام» و«مصباح»، وأن «مصباح» قد ألحق بمصنع لأجهزة الكمبيوتر في وادي السليكون بـ «سان فرانسيسكو»، كمراقب في قسم التغليف، وأنه يشكُّ في قزم يعمل في قسم الاختبارات. ومن مهام هذا القسم ... التأكد من صلاحية الجهاز للعمل، وعدم وجود أية أعطال أو عيوب في الصناعة. وهذه هي الرحلة الوحيدة التي يتدخل فيها الإنسان ... ويتعامل بيده مع الأجهزة. فإذا ظهر عيبٌ ما، فإنه يستبعد عن المراحل النهائية، وهي مراحل تثبيت الأغطية، ثم التغليف. ويقوم مهندس من المصنع بإصلاح هذا العطل، أو تلافي العيب.

وفي هذه المرحلة ... تُضاف الدوائر المدسوسة على التصميم الأساسي للجهاز، وقد تتبَّع «مصباح» هذا الرجل خارج عمله، فلم يَصِل لشيء غير عادي في حياته. وهناك احتمالات ... إما أن خبر مطاردتنا لهم جعلهم يأخذون حذرهم، أو أن شكَّه في هذا الرجل لمجرد أنه

قزم ... غيرُ منطقي، رغم أنه لمحَه أكثرَ من مرة يراقبه عن بُعد أثناء انشغاله في عمله. ومن الجائز أيضًا أن يكون هذا لأنه جديد عليهم، أو لملامحه العربية ...

وكان رأيُ «فهد» أنه ... ليس بالضرورة أن يكون أصحابُ هذه الرسائل أقزامًا، كما تقول رسالتهم، ولكنها على الأقل سمة ... أخذها في الاعتبار، ولن تضرَّ إن لم تُفِد ... فقال «أحمد»: على أي حال، فمن الواضح أنهم أعوان ينفذون مخططات قيادة ... والقيادة لم نعرف عنها شيئًا حتى الآن ... واصطيادها سيكون من موقعنا هنا. ولكن، أين «جو» يا «أحمد»؟

أحمد: هل تحسنَت حالتُه إلى هذا الحد؟

فهد: لا أعرف؟ إلا أني أظن أن هذا الرجل قد تحسَّن منذ الأمس، ولكن كان يمثِّل علينا. أثار هذا الظن «أحمد»، فاندفع جاريًا إلى دورة المياه ... فلم يجد «جو»، فنادى «فهد» ... وافترقَا يبحثان بين الغرف القليلة الواسعة جدًّا المكوِّنة للمبنى، ولكن لا أثرَ لـ «جو». فتساءل «فهد»: إذن، كيف خرج ... وكيف فتح الباب؟

فقال «أحمد»: إن الخروج من هنا سهل، أما الدخول فغير ممكن لغير «بيتر». ثم عاد إلى جهاز الاتصال وأداره، وأصرَّ ألَّا يَبْرحَه إلا عندما يرى «جو» على شاشته. وجرى «فهد» إلى المطبخ ... وقد كان يعمل بأجهزة الإعداد السريع للوجبات والمشروبات، التي أوحَت له بفكرة. فقام بفحصها الواحد تلوَ الآخر ... وجرَّب تشغيلها ... وقد صدق ظنُّه ... فمعظم هذه الأجهزة لها استعمال مزدوج. وقد كان منها مثلًا ماكينة صُنْع القهوة ... فلكل زرٍّ بها له وظيفة، إلا زرًّا واحدًا ... أداره في اتجاه ... ثم عكس الاتجاه، فانفتحَت في أرضية المطبخ طاقةٌ أدهشته.

إن هذا المبنى ليس بهذه البساطة، وكل ما فيه يدعو للتفكير ... وعليهم التعامل معه بحذرٍ. ولكن، ماذا يوجد في هذا القبو؟ فهو لا يرى غير الظلام. وكان الحل الأسرع هو البحث عن بطارية في غرفة المكتب، ولكن لم ينسَ إعادة إغلاق القبو مرة أخرى. واشتعل جسدُه بالنشاط ... وعقله بالرغبة في حلِّ هذا اللغز ... وكشف هذا المجهول. فقطع الطريق إلى المكتب ذهابًا وعودة في أقل من ثانية ... وقام بفتح القبو ... وسلَّط ضوء البطارية عليه ... إنه غرفة واسعة، وبها درجاتُ سُلَّمٍ حديدي مثبتة على الجدار، فتسلَّقها «فهد» هابطًا ببطءٍ وحذرٍ ... وهو يدور بضوء البطارية بين جنباتها، فوجدها مزدحمة بالصناديق المغلقة ... وبفتح إحداها وقع على سرٍّ آخر ... إنه مخزن أسلحتهم.

فعاد لـ «أحمد» مسرعًا، وأنبأه بما وجد، وبأن هذه الأسلحة هدية من الله لهم. فـ «جو» لم يظهر حتى الآن ... وإن كان قد هرب بالفعل ووصل لـ «بيتر»، فسيعجل هذا بمواجهةٍ غير مجدية.

وقد تكون في غير صالحهما؛ لذا ... فتحصينُ القصر أمرٌ حيويٌّ ومهمٌّ ...

عاد «أحمد» إلى القبو، وحملوا ما استطاعوا حملَه من مدافع آلية، وقنابل يدوية ... وأمضوا ليلةَ عملٍ شاقٍّ في تثبيت هذه المدافع خلف النوافذ الزجاجية، وربط زنادها بحبلٍ يحمل ثقلًا موضوعًا على حافة النافذة. فإذا ما سقط هذا الثقل انضغط الزناد وخرجت الطلقات.

نهاية الأقزام!

خرج «فهد» ليزرعَ بعضَ القنابل في الأرض المحيطة بالمبنى ... تحسُّبًا لما ستأتي به الظروف. وعند عودته، رأى «جو» يجري في اتجاه السور الشائك ... فناداه: «جو» ... وفي هذه اللحظة، دار كشاف في اتجاهه ... ودوَّت طلقةٌ بجوار أُذُنه واصطدمَت بالأرض بين ساقَيه ... فجرى عائدًا إلى المبنى ... وأغلق الباب خلفه، فسأله «أحمد»: ماذا حدث؟

فهد: لقد عرفوا مكاننا، والسبب «جو».

تتابعَت الطلقات، و«جو» يصرخ قائلًا: الأقزام قادمون ... توقَّف ... توقَّف ... دبَّت الحركة في جوِّ الليل الموحش ... وعلا نباحُ الكلاب ... وهدير محرك سيارة «بيتر»، وصياح الحارس من أعلى الشجرة: قف مكانك لا تتحرك، إنك هدف سهل لي.

فقال «فهد»: وهو الآن هدفٌ سهل لنا! فما رأيك لو اصطدناه ... وحصلنا على «جو»؟ ولم يكتشف «بيتر» وجودنا؟

فقال «أحمد»: نفِّذ بسرعة، وسأصطاد أنا هذا الوغد. دوَّت طلقةٌ في اتجاه الكشاف، أعقبَتها أخرى في اتجاه الحارس، فسقط وسقطَت شظايا الكشاف. وكان «فهد» في هذه اللحظة، قد ألصق فوهةَ المسدس في ظهر «جو»، عائدًا به مرة أخرى ... في نفس اللحظة التي توقَّفَت فيها سيارة «بيتر» ... وضوء سيارته سُلِّط على الحارس المُلقى على الأرض غارقًا في دمائه ... فعاد منزعجًا إلى سيارته ... وانطلق إلى الكارفان ينادي في طريقه الحراس كي يضيئوا الكشافات ... ويُطلقوا النيران مسحًا للمنطقة ... وتحول الهدوء إلى صراخ طلقات المدافع ... وصداها يتردد بين جنبات الغابة، والحيوانات تصرخ هنا وهناك ردًّا على إزعاجها ... و«أحمد» يعلِّق على «بيتر» بأنه سريع الفزع ... وهذا لا يصلح كرجل عصابات ... فمثله يقع بسهولة. وعلى جهاز الاتصال شاهدَا «بيتر» يتصل بقيادته ... ويقول لهم: إن الأمر خطير، وهناك احتمال أن يُقتحم القصر ... ثم أصدر أمرًا إلى رجاله

بإحالة ليل الغابة إلى نهار ... وغمغمت الطيور في هزيج غاضب، احتجاجًا على مَن لم يحترم حُرمة نومهم.

فقرر «فهد» المواجهة باستخدام «جو»، إلا أن «أحمد» تخوَّف من ذلك ... فهو سيبقى معهم للتعرف على زعيم العصابة. ولولا أن «فهد» شرح له خُطته، والتي تقضي بأن يعود «جو» إلى المقر سالمًا ... ما وافق عليها ... ومن القبو أحضر حزامًا ناسفًا مزودًا بجهاز تحكُّم عن بُعد. وأجرى حديثًا مع «جو»، قبل أن يطلب منه القيام بالمهمة، فسأله عما إذا كانت العصابة تتكون من مجموعة أقزام كما تقول رسالتهم ... أم شعار «الأقزام قادمون» هذا يقصد به أن المجموعة التنفيذية، والتي ستتم المواجهة معها، هم الأقزام؟

ابتسم «جو» لذكاء السؤال ... وأطرق برأسه موافقًا. فارتاح «فهد» لروح التعاون التي أبداها ... واستفسر منه عن الزعيم ... وهل يعرفه؟ فأطرق أيضًا برأسه، فقال «أحمد»: هل تعني إجابتك نعم؟ أريد أن أسمعها منك.

فقال «جو»: نعم أعرفه ... وقد اجتمعنا معه مرة واحدة في بداية تعاملنا معه، فسأله إن كان يقصد أنهم كانوا يعملون لحسابهم هم، واحتاجوا بعد ذلك لمافيا راسخة يصلحون في حمايتها، ويستفيدون من سعة رقعة اتصالاتها.

فظهر على وجه «جو» الذهول، فكأنما يقرأ هذان الفتيان تاريخَ حياته. والاستفادة من فكرة الطَّرْق على الحديد وهو ساخن ... شرح «فهد» لـ «جو» ما يطلبه منه، وهو أن يوصلَه إلى آلة قطع الأشجار ... لمح وجود كل هؤلاء الحراس ... وكل هذه المعدات ... من كشافات وأسلحة، لن يستطيع أن ينجوَ هو وصديقه من أيدي العصابة ... لذا فهم مضطرون للاستفادة منه في ذلك، والرفض في هذه الحالة يعني أنه ينوي الموت قبلهم.

نظر لهم «جو» قلقًا، فقال له «أحمد»: لا تقلق، وأعدك بأني سأعمل قدر استطاعتي للحفاظ على حياتك، إن أنت ساعدتنا، ولا تنسَ أننا أنقذناك من قبل.

وافق «جو»، فطلب منه «فهد» أن ينفذ ما يُطلب منه دون أسئلة، فألبسه «أحمد» الحزام الناسف ... و«جو» ينظر له في فزع ...

فقال «فهد» له: لا ... تماسك ... فبهذه الطريقة سننكشف ... لقد وعدناك ما دمتَ محافظًا علينا، سنحافظ عليك. ثم ضبط «فهد» جهاز التفجير ... وهو يقول له ... لا تخف، إنه يعمل بالتحكم عن بعد، وجهاز التحكم مع «أحمد»، وهو يراقبنا من جهاز الاتصال.

وافق «جو» مرغمًا ... فسلَّماه مسدسًا محشوًّا، وطلبا منه أن يخرج لاصقًا فوهته على ظهر «فهد» ... وكأنه قبض عليه. وفي حالة تعرُّض «فهد» لخطرٍ أو هجوم ... فعليه أن يدافع عنه ... دفاعًا عن حياته، وإلا فلن يستغرق إلا لمسة زرٍّ ...

فقال «جو» في فزع: لا ... لا ... سيتم كلُّ شيء كما تريدون. ثم خرج ... «جو» يسير بخُطًى ثابتة، ولكن حذرة، وأمامه «فهد» يسير كالأسير ... لا حول له، والمراقبون ينادون من فوق أشجار الصنوبر: مَن أنت؟

فصرخ «جو»: لا تُخطئ خطأً زميلك، أنا «جو» وهذا زميل مَن قتله، وسأذهب به لـ «بيتر»؛ فقد يكشف باقي أفراد العصابة.

وكأنما اقتنع الرجل ... فقد نادى زميلًا له يعلو أحد الأشجار أيضًا ... وانتقل الخبر من الرجل إلى آخر.

كانت آلة قطع الأشجار قد كشفت المنطقة حول الكارفان، بما قطعته من أشجار. ومن زجاج نافذة الكارفان، رأى «بيتر» «جو» يقتاد «فهد»، فانفرجَت أساريره ... وقال له: عِمْتَ مساء يا «جو»، لقد كنت الطائر، فأصبحت أنت الصياد.

ابتسم «جو» وهو يغمغم: سنصير كلُّنا طيورًا ... فلا تتعجَّل! لم يتحرك «بيتر» من مكانه، وكأنه ينتظر حتى يصلوا له ... ولكن انتظاره طال.

وعندما خرج ليستفسر عن سبب التأخير، فوجئ بآلة قطع الأشجار تتحرك في ظلام الليل. فصوَّب بندقيته في اتجاه الآلة، وهو يصيح سائلًا عمن بها، ولا أحد يجيب! فأطلق وابلًا من الرصاص في اتجاههم، ولكن هيهات ... فالصلب الذي صنعت منه الآلة لا يؤثر فيه الرصاص.

وساد الفزع بين رجال «بيتر» ... فقد رأوا زميلهم يهوي هو والشجرة وما عليها ... والآلة تقطع بلا رحمة ... فطاش صوابهم. فمنهم من فتح نيران رشاشه بدون وعي، ومنهم مَن هرول نازلًا متعلقًا بحبلٍ. وقد كان «أحمد» ينوي أن يقطعَه برصاصة ... ولكن رأى أن هذا سيدفع باقي زملائه للتردد في النزول، فيصعب المهمة على «فهد» ... وقد شجع هذا زملاءَه الذين سبقوا الآلة ونزلوا مسرعين، فأنقذهم جبنُهم. ومَن تمسَّك بالشجاعة منهم، سقطَت به الشجرة فلقيَ حتْفَه.

رأى «أحمد» أن وصول رسالة منه في هذه اللحظة لـ «بيتر»، بوصول الرأس الكبير، سيكون له بالغ الأثر.

وسمع «بيتر» مَن يناديه من الحراس، فجرى إلى الكارفان، فقال له: رسالة على الشاشة. وكانت الكرة النارية ... وحولها الشعار الاستفزازي «الشياطين قادمون» هو ما رآه. كان «أحمد» يُغمغم في هذه اللحظة، قائلًا: سأجعلكم تكرهون هذا الشعار، و«بيتر» يصرخ: سأنال منكم.

في الوقت الذي كانت قيادة العصابة تتلقَّى رسالة من «بيتر» يشرح فيها ما يحدث، ويطلب التصرف العاجل ... ظهرت على شاشات أجهزة الاستقبال عندهم الكرة النارية وحولها رسالة «أحمد». ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى علا هدير الهليكوبتر في الغابة ... ثم ظهرت وكشاف قوي في بطنها يكشف المنطقة بما عليها، وهي تدور على اتساع الغابة. وكانت أربع مركبات وسائد هوائية «هوفركرفت» تعلو المستنقعات ... وعليها «إلهام» وبعض من أفراد المنظمة تنوي التدخل، لولا اتصالٌ تم بينهم وبين «أحمد» ... وتعلَّقت الطائرة في الهواء فوق ساحة القصر الصغير. ثم ظهرت طائرة أخرى ... أخذَت طريقها إلى الهبوط؛ وكأن الطائرة الأولى تحرسها بعد أن أمَّنت لها المنطقة.

بدأت دوائر دوامات هواء المروحة تضيق حتى توقَّفت عن الحركة تمامًا ... ونزل من الطائرة قزم سمين يرتدي ثيابًا فاخرة ... وفي فمه سيجار ضخم، وثلاثة رجال يهرولون حوله؛ منهم مَن يُخفي مسدسًا، ومنهم مَن يحمل حقيبةً، ومنهم مَن يرتدي جهازَ تنصُّتٍ، متوجهين إلى باب القصر ... وهنا، علا صوت «أحمد» في مكبر الصوت يقول: أرجو ألا يقترب أحد منكم من باب المبنى ... فهو ملغَّم، وأي محاولة ... لفتح الباب ستبوء بالفشل؛ فمصير مَن يفتحه الموت ... وليست أمامكم فرصة للتراجع ... ومن يريد أن يعود للطائرة فعليه أن يجرِّب. في هذه اللحظة، بدأت مروحة الطائرة في الدوران، فخرجت من القصر دفعة رشاش هشمت زجاجها ... وقد كان معظم جسمها من الزجاج، فتركها قائدها وجرى مبتعدًا عنها.

فقال «أحمد»: أرسلنا لكم رسالة ردًّا على رسائلكم لنا؛ فنحن قوم مهذَّبون. وقد كنَّا ننوي منها ما حدث الآن، وهو أن نلتقيَ بكم لنعقد صفقة.

فردَّ أحد الرجال: أية صفقة؟ وهل سنعقدها معًا، ونحن في هذا الوضع؟

ردَّ «أحمد»: إنه وضع مثالي بالنسبة لي ... ولي أولًا سؤال ... هل أتحدَّث مع الرأس الكبير؟ فنظر الرجل إلى القزم الذي تحرَّك في شجاعة ليقفَ في منتصف الساحة، ويقول بصوتٍ عالٍ: أنا الرأس الكبير.

فقال له «أحمد»: لا داعي لأن ترفع صوتك؛ فإنك رجل مهذب ولك وضعك، ولن أُرهقَك.

شعر «أحمد» في هذه اللحظة أن الطائرة المحلِّقة تراقب الساحة، قد حلقت فوق القصر، فصاح «أحمد» في الزعيم ليأمرَهم بالعودة والنزول ... ثم أطلق طلقة إرهاب ... فسَمِعها الزعيم تمرُّ بجوار أُذُنه، فصرخ قائلًا لهم: أنزلوا هذه الطائرة.

ولكن «أحمد» شعر بثقل قد سقط فوق سطح المبنى، فعرف أن أحدهم سيتسلل إليه ... وهو وحده، ولا يعرف من أين سيأتيه، وصاح الزعيم يناديه: مستر ... ما اسمك؟! تعارفَ «أحمد» والرجل، وعرف أن اسمَه «رونالد»، وأنه من السكان الأصليِّين لأمريكا ... وعرف أيضًا أن الرجل يحاول إلهاءَه ... حتى يصل رجلهم.

فقال «أحمد» له: مستر «رونالد»، أحد رجالك الآن يحاول الوصول إليَّ، وستكون النتيجة كهذه ... ثم صوَّب بندقيته إلى أحد القنابل المزروعة بساحة القصر، ودوَّت طلقةٌ أعقبها انفجارٌ مروِّع، جعلَت «رونالد» يُشير للطائرة بحركة هيستيرية، فدارَت حول نفسها ... وهبطت لتقف بجوار القصر ومروحتها دائرة.

كان «فهد» قابعًا في ماكينة قطع الأشجار يتابع ما يحدث، فقرر الاستيلاء على الطائرة واختطاف الزعيم الذي يُهمهم، فطلب من «جو» أن يذهبَ إلى زعيمهم ... يخبره عن الحزام الناسف، لم يستطع «جو» أن يرفض، إلا أن «بيتر» قطع عليه الطريق ... فأمره الزعيم بعدم التعرض له.

وعندما كان «جو» يصافح الزعيم، كان «أحمد» يشعر أن هذه نهاية المهمة، فقال لهم: طبعًا ... أنتم لا تعرفون أن «جو» يرتدي حزامًا ناسفًا.

أصاب الذهول «رونالد»، ونظر لـ «جو» غيرَ مصدِّق، فقال «أحمد»: إنها أجهزتكم مستر «رونالد»، وتعرف مدى خطورتها ... وأرجو ألَّا يفكِّر أحدُكم في الابتعاد عن الآخر ... نعم، فسيقوم «جو» باختطافك يا زعيم ... هل تصدق ذلك؟

أصاب الذهولُ رجالَ «رونالد» ... وسمع البنادق تُعد للإطلاق، فصاح فيهم: توقَّفوا! ما يقوله مستر «أحمد» نافذ.

ورغم أن الموقف كان في صالح «أحمد»، إلا أنه كان قلقًا بشأن الرجل الذي يحاول التسلل له ... ولا يعرف عنه شيئًا ... وكان «فهد» في الكارفان يتابع ما يحدث في تحفُّز، منتهزًا فرصة انشغال «بيتر» ورجاله بالزعيم. فاتصل بـ «أحمد» ليتفقوا على الخطوة التالية ... وقد كان القرار أن يتدخل مستر «رونالد»، أرجو أن تنظر لذيل الطائرة. أخرج «رونالد» رأسه فرأى الحزام الناسف معلقًا بذيل الطائرة، و«أحمد» يقول له: دقيقة واحدة وستصبح نجمًا في السماء ... إن لم تَعُد الطائرة مرة أخرى وتهبط خلف القصر.

مستر «رونالد»: إنها منطقة مستنقعات.

أحمد: أعرف.

رونالد: إنها منطقة خطرة!

أحمد: أُقدِّر ذلك، وانزل بسرعة.

رونالد: وماذا بعد ذلك؟

هبطت الطائرة حتى كادت أن تقف فوق «الهوفركرفت»، والتي أعدَّتها «إلهام» بصورة مختلفة. وقفز مستر «رونالد» ... فأمسك به «فهد»، وعادت الطائرة إلى ساحة القصر، وهبط قائدها مبتعدًا عنها كما طلب منه «أحمد»، ودوَّى انفجارٌ مروِّع حوَّلَها إلى شظايا ... وفي نفس الوقت، اندفعَت «الهوفركرفت» بسرعة مخيفة، تحمل «إلهام» و«رونالد» و«فهد».

وحمل «أحمد» جهاز الاتصال ... تاركًا القصر. وكانت «هوفركرفت» أخرى تنتظره وبها أحد رجال المنظمة ... لينطلقا إلى «نيوجيرسي». في الوقت الذي كانت تُحلِّق فيه طائرات رجال الشرطة الفيدرالية، وتحلق أيضًا أول خيوط الفجر.

فيتَّصل «أحمد» برقم «صفر» ... ويخبره بنجاح المهمة والقبض على زعيم العصابة، وتوقُّف عملية التجسُّس. فيخبره رقم «صفر» بميعاد اجتماع عاجل في نفس اليوم في «نيوجيرسي».

هنـــداوي